

## تفسير البحر المحيط

@ 33 @ إِنْزَالًا كَاشِفُوهَا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنْزَالًا كَأَنَّكُمْ عَائِدُونَ \* يَوْمَ  
 نَبِّطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنْزَالًا مُنْتَقِمُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ  
 قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ \* أَنْ أَدَّسُوا إِيَّاهُ عِبَادَ  
 اللَّهِ \* إِنْزَالًا كَأَنَّكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ \* وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ \* إِنْزَالًا  
 بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* وَإِنْزَالًا \* وَإِنْزَالًا بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْتَدُّوا  
 \* وَإِنْزَالًا \* تُوْمِنُوا لِي فَأَعْتَزَلُونَ \* فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَاءَ قَوْمٍ  
 مُّجْرِمُونَ \* فَأَسْرَبَ بِهِ بَادِيَ لَيْلًا إِنْزَالًا كَأَنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ \* وَاتْرُكْ  
 الْبَحْرَ رَهْوًا إِنْزَالًا كَأَنَّكُمْ جُنُودٌ مَّغْرَقُونَ \* كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاحَاتِ  
 الْعُيُونِ \* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ \*  
 كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ \* فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ  
 وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ . . .

هذه السورة مكية ، قيل : إلا قوله : { إِنْزَالًا كَاشِفُوهَا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنْزَالًا كَأَنَّكُمْ  
 عَائِدُونَ } . ومناسبة هذه السورة أنه ذكر في أواخر ما قبلها : { فَذَرَهُمْ  
 يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ } ، فذكر  
 يوماً غير معين ، ولا موصوفاً . فبين في أوائل هذه السورة ذلك اليوم ، بوصف وصفه فقال :  
 { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ } ، وأن العذاب يأتيهم من  
 قبلك ، ويحل بهم من الجذب والقحط ، ويكون العذاب في الدنيا ، وإن كان العذاب في الآخرة  
 ، فيكون يومهم الذي يوعدون يوم القيامة . والظاهر أن الكتاب المبين هو القرآن ، أقسم  
 به تعالى . ويكون الضمير في أنزلناه عائداً عليه . قيل : ويجوز أن يراد به الكتب  
 الإلهية المنزلة ، وأن يراد به اللوح المحفوظ ، وجواب القسم . وقال الزمخشري وغيره :  
 قوله : { إِنْزَالًا أَنْزَلْنَاهُ } ، على أن الكتاب هو القرآن ، ويكون قد عظمه تعالى  
 بالإقسام به . وقال ابن عطية : لا يحسن وقوع القسم عليه ، أي على إنا أنزلناه ، وهو  
 اعتراض يتضمن تفخيم الكتاب ، ويكون الذي وقع عليه القسم { إِنْزَالًا كَأَنَّكُمْ مُنْذَرِينَ }  
 . انتهى . قال قتادة ، وابن زيد ، والحسن : الليلة المباركة : ليلة القدر . وقالوا :  
 كتب الله كلها إنما نزلت في رمضان ؛ التوراة في أوله ، والإنجيل في وسطه ، والزبور في نحو  
 ذلك ، والقرآن في آخره ، في ليلة القدر ؛ ويعني ابتداء نزوله كان في ليلة القدر . وقيل  
 : أنزل جملة ليلة القدر إلى البيت المعمور ، ومن هناك كان جبريل يتلقاه . وقال عكرمة

وغيره : هي ليلة النصف من شعبان ، وقد أوردوا فيها أحاديث . وقال الحافظ أبو بكر بن العربي : لا يصح فيها شيء ، ولا في نسخ الآجال فيها . .

إنا كنا منذرين : أي مخوفين . قال الزمخشري : فإن قلت : { إِرْزَّآ كُذَّآ مُنْذِرِينَ \* } فـيـهـآ يُفـرِّقُ كُـلُّهُ أَمْرٍ حَكِيمٍ { ، ما موقع هاتين الجملتين ؟ قلت : هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان ، فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى : { إِرْزَّآ أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْبَارَكَةِ } ، كأنه قيل : أنزلناه ، لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب . وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصاً ، لأن إنزال القرآن من الأمور المحكمة ، وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ، والمباركة : الكثيرة الخير ، لما ينتج □ فيها من الأمور التي تتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ، ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده ، لكفى به بركة . انتهى . وقرأ الحسن ، والأعرج ، والأعمش : يفرق ، بفتح الياء وضم الراء ، كل : بالنصب ، أي يفرق □ . وقرأ زيد بن علي ، فيما ذكر الزمخشري : نفرق بالنون ، كل بالنصب ؛ وفيما ذكر أبو علي الأهوازي : عينه بفتح الياء وكسر الراء ، ونصب كل ، ورفع حكيم ، على أنه الفاعل بيفرق . وقرأ الحسن : وزائدة عن الأعمش بالتشديد مبنياً للمفعول ، أو معنى يفرق : يفصل من غيره ويلخص . ووصف أمر بحكيم ، أي أمر ذي حكمة ؛ وقد أبهم تعالى هذا الأمر . .

وقال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد : في ليلة القدر يفصل كل ما في العام المقبل من الأقدار والأرزاق والآجال وغير ذلك ، ويكتب ذلك إلى مثلها من العام المقبل . وقال هلال بن أساف : كان يقال : انتظر والقضاء في رمضان . وقال عكرمة : لفضل الملائكة في ليلة النصف من شعبان . وجوزوا في أمراً أن يكون مفعولاً به بمنذرين لقوله : { لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا } . أو على الاختصاص ، جعل كل أمر حكيم جزلاً فخماً ، بأن وصفه بالحكيم ، ثم زاده جزالة